الفصل الخامس

مؤشرات إجتماعية جغرافية

أ- المقدمة

لم تتوفر بعد دراسة جغرافية ميدانية عن الجريمة في المدينة العراقية كما هو حال الدراسة التي قدمت عن كاردف. ولازال بعض جغرافيينا متردد في ولوج هذا الميدان التطبيقي في الجغرافيا. في هذا الفصل سنعرض بعض أسباب الجريمة

التي أوردها علماء الإجتماع ونوضح أهمية دراستها جغرافياً. إنها مؤشرات إجتماعية درس الجغرافييون توزيعها المكاني دون التركيز على صلتها بالجريمة. المطلوب الآن النظر اليها بعين ناقدة وبمنظور تطبيقي يخدم المجتمع والجغرافيا على حد سواء.

٢- المؤشرات

(١) الكثافة السكنية، تعتبر الكثافة السكنية مؤشراً إجتماعياً مهماً في دراسة المدينة إضافة إلى كونها أحد أسس السيطرة التخطيطية على المناطق السكنية. وتقسم الكثافة السكنية إلى:

أ) الكثافة الاسكانية العامة، وتحسب للمدينة برمتها أو للحي السكني أو للوحدة الإحصائية وبغض النظر عن كيفية إستخدام الأرض، وتستثنى منها الأراضي الزراعية والخالية تماماً، وتشمل الإستعمالات الصناعية والتجارية والفسحات ومختلف الاستعمالات الحضرية. يعتمد هذا النوع من الكثافة للمقارنة وتصنيف المناطق أو المدن.

ب) الكثافة الإسكانية الإجمالية، وتعتمد هذه الكثافة لمعرفة كثافة المناطق السكنية بصورة خاصة، وتحسب بقسمة عدد سكان المنطقة السكنيةعلى مساحتها بما فيها المنازل والحدائق والطرق والحوانيت والمدارس الإبتدائية والفسحات، ويستثنى منها المناطق الصناعية والمدارس الثانوية وحدائق المدينة الكبيرة ومركز المدينة أيضاً.

ج) الكثافة الإسكانية الصافية، يعتمد هذا النوع من الكثافات للنطاقات لاعتماده في التخطيط والسيطرة على التنمية. يقسم عدد سكان النطاق أو عدد الوحدات السكنية فيه على مساحته، التي تشمل مساحة المنازل

والحدائق والفسحات ونصف الطرق المحيطة به بحيث لا تزيد عن ستة أمتار مع إستثناء الدكاكين المحلية والمدارس والأراضي المفتوحة وأية تنمية غير سكنية.

تقاس هذه الكثافة إما بعدد المنازل أو عدد الأشخاص أو عدد الغرف المسكونة للهكتار الواحد.

إضافة إلى هذه، هناك معدلات أخرى تقاس بها الكثافة مثل: عدد الأشخاص في المنزل الواحد، عدد الأسر في المنزل الواحد، عدد الأشخاص للغرفة الواحدة. (العمر وزملاءه، ١٩٩٠).

لإرتفاع الكثافة السكنية (بكل أنواعها) أثر سلبي على العائلة داخل المنزل وفي الحي السكني. إنها تؤدي إلى فقدان للفردية والخصوصية، إنها تنمي الروح العدائية و الإنعزالية في ذات الوقت. إنها مصدر المشاكل في المنزل و سبب معظم الشجار والعراك الذي يحدث في الحي السكني وفي المدرسة. إنها تقلل فرص التعلم والتوجيه والتربية. إنها أفضل الوسائل لإنتشار الأمراض والأوبئة والإشاعات والآفات الإجتماعية. لهذه الأسباب، وغيرها، اعتمدت الدول المتقدمة الكثافة السكنية كمؤشر ومعيار جوهري في التخطيط والسيطرة ورسم السياسات الإجتماعية.

أشار هربرت إلى دراسة عن إتلاف المباني في لندن مؤكداً وجود علاقة إحصائية بين عدد المباني المتضررة والكثافة العالية متمثلة بوجود عدد كبير من الأطفال (Herbert,1982,51) .

(٢) حجم العائلة، يرتبط بالكثافة السكنية معدل حجم العائلة. يعتمد هذا المعيار للمقارنة بين الريف والحضر، وبين مناطق سكن الأغنياء ومناطق سكن الفقراء. يعتمد هذا المؤشر ولتفسير تدني المستوى الإقتصادي الإجتماعي للعائلة ولتفسير تدني المستوى التعليمي للأبناء، ولتفسير جنوح الأبناء وضعف توجيه الآباء لهم.

يذكر إحسان الحسن ((إن كبر حجم العائلة وضعف مواردها الإقتصادية وهبوط مستوياتهم الثقافية والتربوية والعلمية لا يعطي المجال على منح أولادهم أولادهم التربية الإجتماعية والأخلاقية الفاضلة ويجعلهم عاجزين

عن مقابلة إحتياجاتهم اليومية وغير مستعدين على دفعهم نحو إكتساب الثقافة والتربية والتعليم)) (الحسن، ١٩٨٣، ١٨٢) وفي بحث آخر يشترك فيه الحسن مع بشير نجد النص التالي: ((فقد يؤدي كبر حجم الأسرة إلى إحداث كثير من المشاكل العائلية والإقتصادية، وحتى غياب أو ضعف القدرة على الضبط الإجتماعي لدى الآباء والأمهات بالنسبة إلى أبنائهم، أو قد يؤدي ذلك إلى خلق الحالات التي تتصف بالضائقة المالية التى تدفع رب الأسرة إلى الإنحراف والجنوح)) (الحسن وبشير، ١٩٨٣، ١٠).

(٣) نسبة النوع (الجنس)، وتحسب بقسمة عدد الذكور على عدد الإناث في المنطقة. إن اختلال التوازن في هذه النسبة زيادة أم نقصان يؤدي إلى مشاكل اجتماعية، ولكل حالة مشاكلها الخاصة بها. وكما أشير في دراسة كاردف فإن نسب الجنوح كانت متزامنة مع زيادة عدد الذكور على عدد الإناث في عمر معين في مناطق الجنوح.

(٤) الحالة الإقتصادية للعائلة، تقاس هذه الحالة بمعدل الدخل الشهري للأسرة، عدد العاملين فيها، مهنة رب الأسرة، نسبة الإعالة، عدد العاطلين عن العمل. إنها المفسر المباشر لدى العديد من الباحثين ، للجنوح ولإنتشار الجريمة. يوضح أحمد القطان المقصود بالظرف الإقتصادي بقوله إنه ((المستوى المعاشي للعائلة ومدى قدرته على تلبية كافة متطلبات الأسرة الضرورية والأساسية اللازمة لمعيشتها، ولذلك فإنها تعتبر من أكثر العوامل قوة في التأثير على الحدث.)) (القطان ١٩٨٣, ٢٨٣). وتؤكد زكية عبد الفتاح محمد على ((أن خروج الحدث مبكراً للعمل وإحتكاكه بالآخرين بسن مبكرة، مما يؤدي إلى حرمانه من فرص التعلم، كما يدفعه ويعرضه للتأثيرات الجانحة من البالغين، نظراً لعدم نضوجه وضآلة خبرته بالحياة، وعليه فالفقر ذاته لا يرتبط بالجنوح وإنما يرتبط الجنوح بالفقر إذا صاحب الفقر عوامل أخرى ومطامح لا تجد أمامها الفرص لتحقيقها بالوسائل المشروعة. فالفقر كما قال العالم (سيرل بيرت) عنه ، إذا كانت أغلبية المجرمين من الفقراء فإن أغلبية الفقراء من المجرمين.)) (محمد، ١٩٨٣، ٢٤٩).

(٥) دورة الفقر The Cycle of Poverty، أكد العديد من الباحثين على حدوث الفقر التي تبدأ بانخفاض المستوى التعليمي الذي لا يوفر خبرة مهنية وبالتالي يدفع إلى الإمتهان بمهن لا تتطلب الخبرة بأجر زهيد. توصل هذه الحالة إلى تذبذب في العمل وحدوث بطالة وفقر. بسبب حالة الفقر هذه فإن سكن (الفقير) سيكون حتماً متدني المعيارالسكني والمستوى العمراني. يؤدي العيش في مثل هذه المساكن إلى انتشار الأمراض البدنية والنفسية والإجتماعية، وهذه جميعاً تصب في ضعف القيم الخلقية وتدني الطموح الدراسي والميل إلى الجنوح. مثل هذه الحالة لا توفر فرصاً واسعة للتعليم والإرتقاء بالسلم المهني وتعود الدورة إلى نقطة البداية: مهن لا تتطلب المهارة بأجر زهيد. (Herbert, 1982,86). وقد عبر عن هذه كولنك ورث بما يلي: ((أن تكون فقيراً فإنه أكثر من الحصول على دخل واطىء. إنه يعني الخضوع لسلسة من دورات الحرمان: أن تكون فقيراً يعني أن تعيش بحي غير جيد، ويعني أن تذهب إلى مدارس في المستوى الثاني، ويعني هذا نقص في المستوى التعليمي، ويعني هذا الحصول على مهن بأجر واطىء أو أن لا تجد عملاً أصلاً، ولهذا تكون فقيراً. أو،أن تكون فقيراً فيعني أن تأكل طعاماً غير جيد والعيش في منزل غير صحي ويعني هذا أن تكون عليل الصحة، وتعني هذه فقدان الكثير من العمل والدراسة، أو تكون معوقاً أو بدون قوة كافية لإنجاز أعمال يدوية ثقيلة والتي قد تكون هي الوحيدة المتوفرة، ولهذا تبقى عاطلاً عن العمل. أن تكون فقيراً يعني أيضاً أن تحس أن الناس الآخرين في العالم هم أكثر نجاحاً منك قادرون على القيام بأشياء ناداراً ما يحلم الفقير بها، ويعني هذا أن ينظر الفقير إلى نفسه كإنسان فاشل، وتعني هذه ضعف ثقته بنفسه وتراجعه بسهولة أو ربما، أن لا يحث نفسه و يدفعها للعمل ولهذا يبقى فقيراً. جميع هذه الدورات تنتهي بنهاية واحدة هي أن تكون كذلك فقيراً.)) (Cullicgworth,1972,27) يؤكد النصين المذكورين في أعلاه على الصلة بين التعليم والعمل والمستوى الإقتصادي الإجتماعي. إن القيم التي قد تنمو عند (الفقراء) قد تشكل ما يعرف بثقافة الفقر Culture Of Pover-ty، وهي نوع من الثقافات الثانوية التي توجد في مناطق سكنية معينة. في

(الفرد الذي تنمو عنده روح الكراهية والعداوة ضد المجتمع يشعر بأن ظروفه الإقتصادية والإجتماعية والثقافية السيئة هي وليدة نظامه الإجتماعي المتخلف الذي يرتكز على معايير التعسف الإجتماعي والقهر الطبقي التي تخلقها وتعززها الفئات المستغلة والظالمة. ولهذا يحمل الفرد نوازع العداء والإنتقام والكراهية ضدها، وغالبا ما يعبر عن هذه النوازع في صيغ عدة كقيامه بسرقة ممتلكات وأموال هذه الفئات والوقوف ضد مصالحها وأمانيها كلما إستطاع اليه سبيلاً». (الحسن وبشير، ١٩٨٣، ٤٦) وتشير ناهدة عبد الكريم إلى قول (مارشال كلينارد) ب(أن المجتمعات الكبيرة تتألف من حضارات فرعية وجماعات إجتماعية ومختلفة ولكل منها في الغالب مجموعة من المعايير والقيم ليس بالنسبة للتصرفات وحسب بل ولأهداف الحياة أيضاً. والحضارات الفرعية، مثل الحضارات (العامة) تلزم الأفراد بما ينبغي وما لا ينبغي عمله». (عبد الكريم، ١٩٨٣, ١٠٨).

(٦) المناطق المتخلفة، ترتبط دورة الفقر بمناطق أطلق عليها إسم المناطق المتخلفة والتي تكون مناطق جنوح في ذات الوقت. يشير عبد اللطيف العاني إلى أن الباحثين قد ((وجدوا إنتشار أنواع مختلفة من الجرائم كالسرقة والنشل وإنتشار عصابات الأحداث بنسب عالية في الأحياء المختلفة كتعويض سيىء لملاعب الأطفال وحدائقهم ورياضتهم التي تفتقر اليها الأحياء المتخلفة ولذا كثيراً ما يطلق عليها إصطلاح (المناطق الجانحة)، لقد أكد علماء الإجتماع على أن هناك علاقة بين الجذور الحضارية التي يرجع اليها الأفراد وبين جرائمهم». (العاني، ١٩٨٣, ٢٦٥) .

يصف الحسن وبشير الظروف السكنية للسراق بأنها تتميز «بالسلبية والإرتباك. فالسراق يعيشون في مناطق سكنية متخلفة وموبوئة ومكتظة بالسكان. والمساكن التي يعيشون فيها صغيرة وقديمة ولا تتوفر فيها أبسط شروط الصحة والراحة. وفي بعض الأحيان تعيش عدة عوائل في بيت واحد، فكل عائلة تعيش في غرفة واحدة. وفي حالات كثيرة يسكن سبعة أشخاص أو ثمانية في الغرفة الواحدة. ومعظم السراق يدفعون بدلات إيجار عالية للمساكن القديمة والغرف الضيقة التي يعيشون فيها. ومن الجدير بالذكر

أن مثل هذه الظروف السكنية السيئة والبائسة تقود الأفراد إلى ارتكاب الجرائم والمخالفات بحق الأشخاص والمجتمع)). (الحسن وبشير، ١٩٨٣، ٢٩).

(٧) المستوى التعليمي لرب الأسرة، لرب الأسرة الدور الرئيسي في تنشئة وتوجيه عائلته. «ومما يجعل عوائل الجانحين قاصرة في منع أبنائها التنشئة الإجتماعية الإيجابية والتربية الخلقية الفاعلة إنخفاض المستويات الثقافية والتربوية للوالدين، فمعظم آباء وأمهات الجانحين أميين أو دارسين دراسات في مراكز الأمية والإلزامية» (الحسن، ١٩٨٣, ٨-١٨٩).

وقد وجد سعدي لفته موسى أن ((آباء وأمهات الأحداث الجانحين يستخدمون الكلام البذيء، والتهديد بالضرب، والضرب الفعلي بوسائل وأدوات مختلفة أكثر من أولياء أمور غير الجانحين وإن هذا الأسلوب يعطي الطفل صورة قاسية عن البيئة التي يعيش فيها الحدث فيتصورها بيئة مليئة بالكبار الأشداد القساة الذين لا يبتغون شيئاً سوى إنزال الأذى وإيقاع الضرر به». (موسى، ١٩٨٣, ٢١٣). إن مثل هذا الأسلوب (التربوي) لا يعتمده إلا الفئة التي انخفضت مستوياتها التعليمية والتي تجهل أسس التربية القويمة. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن ((الإجرام يرجع في الحقيقة إلى أسباب أخرى غير الجهل تعد هي السبب في الجهل كذلك الفقر والعيوب النفسانية الموروثة والضعف العقلي والخلقي))، (الحسن وبشير، ١٩٨٣, ١٦).

(٨) تداخل استعمالات الأرض، «ولقد وجد علماء الإجتماع علاقة بين سكان المناطق المتخلفة وانحراف الأحداث حيث كلما غزت المحلات التجارية هذه المناطق كلما أدى إلى نقص المساحات المخصصة للسكن فيزداد عدد المؤجرين للبيت الواحد وتوصم إنها مناطق غير مرغوبة للسكن لذلك يحاول سكانها الفرار إلى مناطق أخرى في أقرب فرصة ولذلك فهي منطقة إنتقال.» (العاني، ١٩٨٣, ٢٦٥).

ويشير العاني في نفس المصادر والصفحة إلى «وحيثما تقتصر إقامة الناس في المحلة تميل القيم الخلقية والمقاييس الإجتماعية إلى الإنحلال فتنعدم وسائل السيطرة الإجتماعية وينعزل الناس إجتماعياً ونسبياً عن بقية السكان

وذلك لعدم رغبتهم في تأسيس روابط حميمة فيما بينهم». لا ينحصر تداخل استعملات الأرض بالإستعمال التجاري والسكنى بل وفي أطراف المدينة تتداخل الإستعمالات الحضرية والريفية. في أطراف المدينة تقل الكثافة وتتداخل المسؤوليات الإدارية. في هذه المناطق تفتقر مراكز الشرطة إلى القوة الحقيقية «والصيغ السريعة والفعالة التي توقف المجرم عند حده وتفرض عليه الجزاء العادل الذي يستحقه. كما إنها في معظم الحالات تمتنع عن تسجيل شكاوى المواطنين ضد السرقات التي تعرضوا اليها بحجة إن مساكن المواطنين لا تقع ضمن مناطقها المحددة». (الحسن وبشير، ١٩٨٣، ٣٥).

يجرنا هذا التداخل إلى مناقشة مقتضبة لما يعرف بدورة حيلة المحلة Neighbourhood life-cycle. تبدأ هذه الدورة مع أول منزل يبنى في الحي السكني وتنتهي مع إعادة التطوير الشاملة أو شبه الشاملة.

في المرحلة الأولى تكون المنازل حديثة البناء وبمستوى معياري يتناسب مع الظرف، تسكنها عادة عوائل في بداية دورة حياة العائلة، ويكون هناك نوع من التجانس الإجتماعي السكاني بين ساكني الحي. لم تتوثق الصلات الإجتماعية بعد في هذه المرحلة ولم تتكامل الخدمات العامة فيها. تشكل هذه المرحلة فترة عصيبة لساكني الحي حيث العزلة وفقدان الأمان. في المرحلة الثانية تمتلىء المنطقة بالعمران ويتناقص الفراغ بين المباني وترتفع أسعار الأرض مع إرتفاع كثافة الإستخدام. في ذات الوقت تكون العوائل قد تقدمت مرحلة أيضا في دورة حياتها وكبر الأبناء وشاخ بعض الآباء مع تحسين نسبي في مستوياتها الإقتصادية. في هذه المرحلة تتناقص الهجرة إلى هذه المنطقة وتبدأ بعض العوائل بالسكن مع بعضها (خاصة العوائل الممتدة) وتتبلور العلاقات الإجتماعية ويكون للتكافل الإجتماعي وقع ودور بارز في حماية أمن المجتمع وسيادة النظام في الحي السكني. في المرحلة الثالثة من دورة حياة المحلة تبدأ مظاهر التدني العمراني من خلال عمليات التحوير العمراني للمنازل وإرتفاع الكثافة الإسكانية في الحي وإرتفاع نسبة المسنين والمتقاعدين فيه. تؤشر هذه الحالة بداية التدهور في المستوى الإجتماعي للمنطقة وبداية الهجرة منها إلى المناطق الأحدث حيث تتوفر المعايير السكنية

الحديثة فيها والتي تتوافق مع (الطموح) الإجتماعي الإقتصادي لبعض ساكني هذا الحي. وفي يالمرحلة الرابعة تبدو مظاهر القدم الزمني على المبانيلمباني تتدنى البيئة العمرانية للحي بأكملها تقريباً. تتسارع في هذه المرحلة عملية إنتقال الساكنين الأصليين من المنطقة، وترتفع نسبة المنازل المؤجرة، وتكون فترات الإيجار قصيرة في الغالب (حركة سريعة للناس في الإنتقال داخل الحي وبين الأحياء السكنية)، وتتفاقم تبدلات إستعمالات الأرض من سكنية إلى الإستعمالات الأخرى. في هذه المرحلة يفقد المجتمع وحدته ويظهر عدم الإنضباط واضحاً وتبدأ المشاكل الإجتماعية المختلفة وقد تكون حادة.

تنتهي دورة الحياة إما بإعادة الحياة إلى الحي السكنى من خلال برنامج تطويرحكومي شامل أو تدخل القطاع الخاص بإعادة شباب المنطقة بأعادة تنميتها جزئياً (Bourne 1978,155).

إن مفهوم دورة الحياة مفهوم بيئي أخذه الجغرافيون عن علوم الحياة وطبقوه على بعض (الظواهر) الجغرافية التي درسوها. كذلك فعل علماء الإجتماع.

تذكر ناهده عبد الكريم أن النظرية (الإيكولوجية) تشير ((إلى أن السلوك الإنساني والنظم يمكن دراستها بنجاح في ضوء ما بينها من علاقات مكانية في نطاق منطقة مادية (فيزيقية) معينة بحيث تقوم هذه المنطقة ذاتها بتحديد أصول هذه العلاقات وطابعها إلى حد بعيد، فالبناء الإجتماعي في منطقة معينة نتاج لعدد من المتغيرات مثل استخدام الأرض وكثافة السكان والبناء العمودي بالإضافة إلى بعض العوامل كالتجمعات الدينية و العنصرية والقوميات الإجتماعية.)) (عبد الكريم، ١٩٨٣، ١١٥). ويشير Smith إلى مصدرين للخوف عند الناس لتوقع الجريمة. يتمثل الأول بوجود مبان متروكة وتداعي البيئة العمرانية في المحلة، ويتلخص الثاني بتدني البيئة الإجتماعية حيث يكون التماسك الإجتماعي متدنياً وتكون القناعة بالمحلة منخفظة مما يشجع العزلة الإجتماعية وعدم الثقة والمزيد من الخوف والقلق. (Smith1984,429). بعبارة أخرى. هناك ترابط بين مستوى البيئة العمرانية والبيئة الإجتماعية. هذا الترابط حددته العديد من الدراسات الإجتماعية والجغرافية. ولكلا البيئتين علاقة اشتراك مع المشاكل الإجتماعية بصورة عامة والجريمة على وجه التحديد. فمعرفة التركيب الإجتماعي

المدينة يساعد كثيراً في فهم وتفسير أنماط الجريمة فيها (مكانية وغير مكانية). إضافة إلى هذا. لوضع سياسة إجتماعية علاجية للمشاكل التى تواجه المجتمع من الضروري إستجلاء تركيبته الإقتصادية والإجتماعية وتنظيمها المكاني. مثل الفهم يعد من بديهيات العمل الإداري العلمي.